



واحد وأربعون شهراً مرّت إذن منذ انفجار الثورة السورية بدرعا في آذار 2011م، الثورة التي ابتدأت كانتفاضة مجتمعاتٍ محلية ضد السلطة ترفع شعارات الحرية والكرامة والوطن في مواجهة جهاز القمع الدموي الذي واجه بالقتل أصوات المتظاهرين الغاضبين الذين اكتشفوا أنفسهم للمرة الأولى كذواتٍ حرة مستقلة عن حيز السلطة، ومجتمعات قادرة على الفعل والتعبير عن "الوجود"، وجودها بمعناه الفلسفـي الأوسع

لتتعنق من كونها محض موضوع لقمع السلطة واستغلالها، وكممحض مضافٍ إليها مبنيًّا أبداً رغمًا عن قواعد اللغة و"الاسم الإنساني" كما اكتشفه آدم كاملاً ضمن الأسماء قبل وجود السلطة وإكراهاها.

لم يكن المتظاهرون مجردين عن الخوف وقتها، ولكن الخوف أصبح هو "طقس العبور" نحو التمرد وإعلان الوجود. بتحويل الخوف إلى طاقة غضب انتزعت الثورة من السلطة مبرر وجودها واستمرارها الأول، منذ مذبحة حماة التي كانت "الأسطورة المؤسسة" والحيّة لشرعية السلطة كحقيقة موضوعية قهريّة لا يمكن الانعتاق منها.

كانت مواجهة السلطة ضمن سيرورة "قلقة البداهات" المكرسة على المستوى الاجتماعي والنفسي التي مارستها الثورة على مستوى "الفرد الحر" أو "المجتمع المحلي الحرّ"، هذا بعد أن كان الفرد شكلاً من المواطن العاري الذي يمارس فرديته

السياسية - أو "الوجودية" بالمعنى الأوسع - بالتخفي والانزاع عن جهاز المراقبة والمعاقبة للسلطة المترصد لكل كلمة منه حتى لو كانت مع عائلته، أو بالانخراط في السلطة والعبودية لها من داخلها، كعبودية طوعية كما يقول لا بوازيه ولكنها تتم في سياقٍ قهري من الإكراهات التي تمارسها الدولة على من يوجد خارج منطقها، وبعد أن كان المجتمع المحلي هو الامتداد المقيّد لهذا الفرد ضمن تعريفات السلطة ورقابتها وتكلبات الضبط و"الاستبعاد" حسب التعبير الخلدوني، ولكن دون أن تمتلك الدولة هنا عصبية الدين أو الشرف القبلي، بل عصبية القوة والقمع لا غير.

ولم تحتاج الثورة في ذلك إلى تنظيرٍ فلسيٍ سابق، كما يتوهم المفتونون بالسردية الثقافية للثورة الفرنسية، ولم تحتاج الحرية إلى تعريف قاموسي معقلٍ ومضبوطٍ كي يسير المتظاهر وفق الخطبة، فالحرية التي تحضر واقعاً تغيب تنظيراً كما يقول العروي، وكان الشعور بالحرية والكرامة الإنسانية المعاشرة والمفترضة للطاقات الكامنة في مجتمعٍ مكبوبٍ لنصف قرن، أظهر وأوضح تجلياً من أي تنظير للحرية سابق أو لاحق على تفجر الصوت الإنساني الذي يريد فرض "نظام الحقيقة" الخاص به (حسب تعبير ميشيل فوكو)، رغمَ عن سلطة التزييف المفروض والكذب المعمم وانتهاك الإنسان حتى في فهمه لنفسه كذاتٍ إنسانية حرة ومستقلة.

وانتشرت هذه الثورة وتنقلت ضمن مراحل عدة وشائكة ومعقدة، حتى وصلتاليوم إلى مشهدٍ تغطيه صور الدمار والركام والأشلاء والرؤوس المقطوعة، بعد أكثر من 200 ألف شهيد و 85 ألف معقول، و7500 امرأة تعرضت لعنف جنسي، وأربعة ملايين لاجئ، و 6 ملايين نازح، وشعب بأكمله لكل منهم تأثيره الخاص وحكياته الخاصة وولادته الخاصة في هذه الثورة العظمى، والكارثة المعمرة.

وهذه المقدمة الطويلة تمهد لنموذج تفسيري مقترن لسيطرة هذه الثورة وما لاتها ومشهدها الراهن، باعتبارها: "ثورة المتروكين".

المحتوى

أولاً: المقدمة

ثانياً: مالنا غدرك يا الله

١- المروكلة الاجتماعية

- المتر و كة التقنية

- المِنْهَى وَكُلَّهُ الْمُتَوْكِلٌ

- المِتْرُوكِيَّةُ الْعَسْكُرِيَّةُ

5 - المترو كية الثقافية

6- المترو كية السياسية

7- المتر وكية الأقليمية الدولية

- متروكة المتقين

ثالثاً: امتداح البراءة كوجه مضار

رابعاً: خاتمة

منتدي العلاقات العربية والدولية

المصادر: